السوافير الغربية

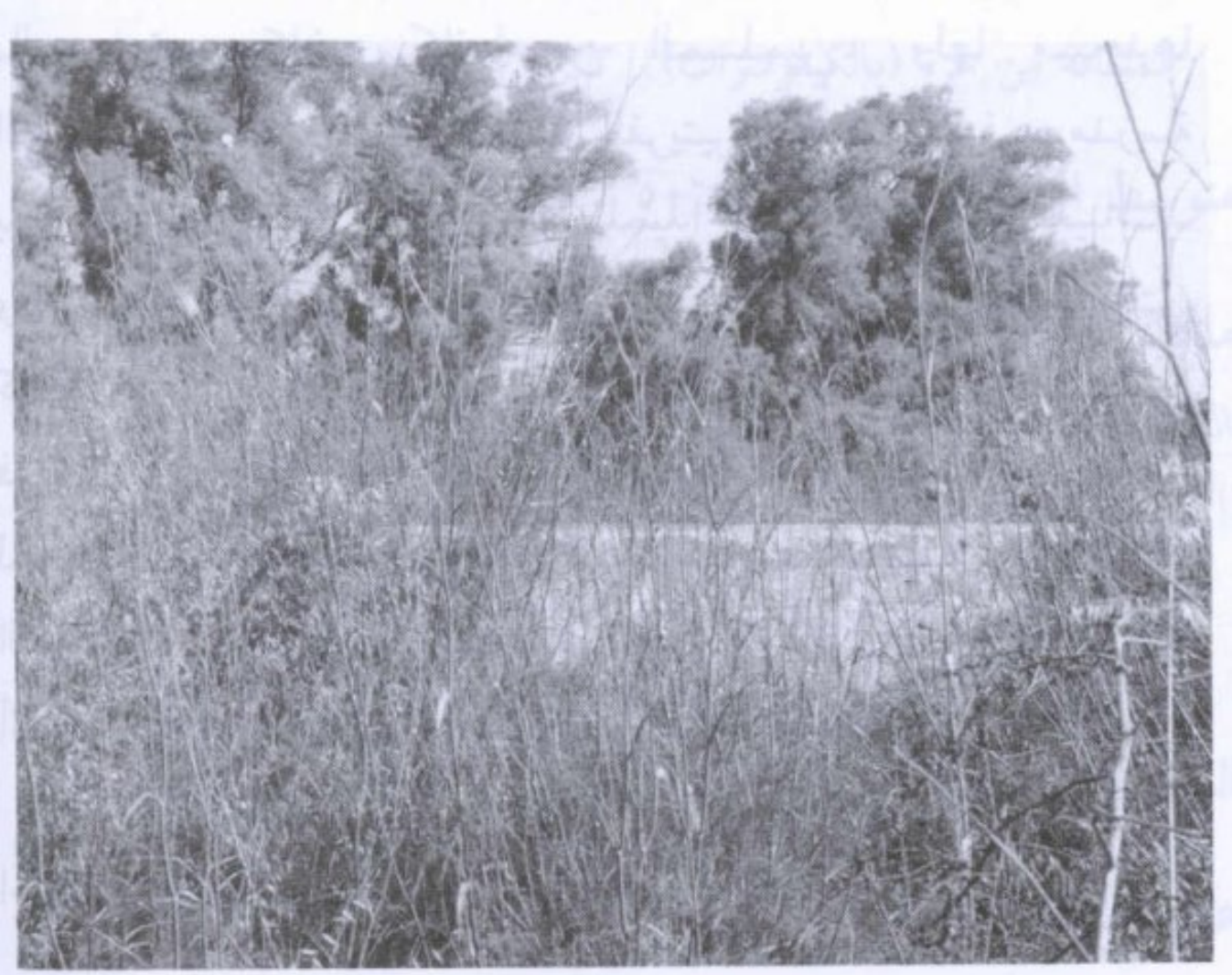

بقايا بناء مضخة المياه الخاصة بالقرية (حزيران/يونيو ١٩٨٧) [السوافير الغربية]

قرية السوافير الغربية المهجّرة – قضاء غزة

السَوافِير الغربية قرية فلسطينية مهجّرة من قرى قضاء غزة، كانت تقع في السهل الساحلي الجنوبي، على مسافة نحو 30 كيلومتراً شمال شرقي مدينة غزة، وعلى ارتفاع متوسط يقارب 50 متراً عن سطح البحر.

كانت إلى الشمال من الطريق العام الذي يخرج من الجهة الشمالية الشرقية لمدينة المجدل باتجاه تقاطعه مع طريق القدس–يافا، وكان خط سكة الحديد المؤدي إلى غزة يمر شمال القرية مباشرة.

تختلف المصادر في تحديد اللحظة النهائية لاحتلال السوافير الغربية سنة 1948. فالمصادر التي ينقلها وليد الخالدي تربط تهجير السكان بهجوم بيت دراس في 10 أيار/مايو أو بالهجوم على السوافير الشرقية في 18 أيار، وربما تعرضت السوافير الغربية نفسها للهجوم في اليوم الأخير. لكن رواية مصرية تقول إن القوات الإسرائيلية لم تكن موجودة في قرى السوافير عند بدء الهدنة الأولى في 11 حزيران، وإن السيطرة العسكرية عليها حدثت لاحقاً. لذلك يجب التمييز بين مرحلة التهجير في أيار وبين تاريخ السيطرة العسكرية النهائية المختلف عليه.

الموقع والجغرافيا

كانت السوافير الغربية قائمة في السهل الساحلي الجنوبي على مسافة نحو 30 كيلومتراً شمال شرقي غزة.

بلغ متوسط ارتفاعها نحو 50 متراً عن سطح البحر.

وقعت القرية إلى الشمال من الطريق العام الخارج من المجدل باتجاه طريق القدس–يافا، بينما مر خط سكة الحديد المؤدي إلى غزة شمال القرية مباشرة.

جاورتها السوافير الشمالية من الشمال، وقسطينة من الشمال الشرقي، والسوافير الشرقية من الشرق، والجلدية من الجنوب الشرقي، وعبدس من الجنوب، وجولس من الجنوب الغربي، وحمامة من الغرب، وبيت دراس من الشمال الغربي.

السوافير الثلاث

كانت السوافير الغربية واحدة من ثلاث قرى فلسطينية متجاورة حملت اسم السوافير: الغربية والشرقية والشمالية.

أضيفت صفة «الغربية» إلى اسمها لتمييزها عن القريتين الأخريين.

وكانت القرى الثلاث تشكل معاً مثلثاً قائم الزاوية تقريباً، مع ترابط اجتماعي واقتصادي وتعليمي واضح بينها.

ومع ذلك، ظلت كل قرية وحدة سكانية وعقارية مستقلة، ولذلك لا يجوز دمج إحصاءات السكان أو الأراضي أو المستعمرات أو تواريخ الاحتلال بين القرى الثلاث.

السوافير الغربية في العهد العثماني

في سنة 1596 كانت السوافير الغربية قرية تابعة لناحية غزة ضمن لواء غزة.

بلغ عدد سكانها المقدر آنذاك نحو 237 نسمة.

وكان الأهالي يدفعون الضرائب على القمح والشعير والفاكهة، إضافة إلى الماعز وخلايا النحل وكروم العنب وغيرها من عناصر الإنتاج.

العمران

في أواخر القرن التاسع عشر كان في السوافير الغربية عدد من البساتين الصغيرة والآبار.

بُنيت معظم المنازل من الطين والطوب، بينما شُيد بعضها بالحجارة.

بلغت المساحة المبنية رسميًا في سنة 1944/1945 نحو 25 دونماً.

وكان في القرية مسجد ومقام للشيخ الباز ومركز للشرطة.

السكان والمنازل

السنة	عدد السكان	ملاحظة
1596	نحو 237	تقدير تاريخي من السجلات العثمانية
1922	572	تعداد فلسطين الرسمي
1931	723	تعداد رسمي؛ 722 مسلمًا ومسيحي واحد
1945	1,030	إحصاءات رسمية؛ جميعهم عرب، وتدرجهم إحصاءات القرى ضمن المسلمين
1948	نحو 1,195	تقدير ديموغرافي لاحق وليس تعداداً رسمياً
1998	نحو 7,337 لاجئاً وذريتهم	تقدير لاحق منشور في «فلسطين في الذاكرة»

سجل تعداد سنة 1931 وجود 134 منزلاً مأهولاً في السوافير الغربية.

وتظهر في بعض الملخصات الثانوية عبارة أن جميع السكان في سنة 1931 كانوا مسلمين، لكن جدول التعداد الرسمي يبين وجود 722 مسلماً ومسيحي واحد ضمن مجموع 723 نسمة.

أما تقدير نحو 221 منزلاً سنة 1948 فهو تقدير لاحق وليس نتيجة تعداد رسمي لحكومة فلسطين.

المسجد والمقام والتعليم

كان في السوافير الغربية مسجد يخدم سكان القرية.

كما كان فيها مقام للشيخ الباز، إضافة إلى مركز للشرطة.

واشتركت السوافير الغربية مع السوافير الشرقية والسوافير الشمالية في مدرسة واحدة.

بلغ مجموع تلاميذ المدرسة نحو 280 تلميذاً في أواسط الأربعينيات.

ولذلك لا ينبغي وصف المدرسة بأنها مدرسة خاصة بالسوافير الغربية وحدها.

مصادر المياه

كان في القرية عدد من الآبار التي وفرت المياه للسكان وأسهمت في ري البساتين.

ومع ذلك، بقيت الزراعة في السوافير الغربية بعلية في معظمها وتعتمد أساساً على مياه الأمطار.

الحياة الاقتصادية والزراعة

كانت الزراعة عماد اقتصاد السوافير الغربية.

زرع الأهالي الحبوب والحمضيات والعنب والمشمش، إلى جانب البساتين الصغيرة.

وفي سنة 1944/1945 خُصص 6,663 دونماً لزراعة الحبوب، و585 دونماً للبساتين والأراضي المروية.

وهذا يعني أن نحو 96 في المئة من أراضي القرية صُنفت مزروعة أو صالحة للزراعة.

ملكية الأراضي سنة 1944/1945

بلغ مجموع مساحة أراضي السوافير الغربية 7,523 دونماً.

المجموع	7,523
نوع الملكية الرسمي	المساحة بالدونم
عرب	7,307
يهود	0
عام	216

يتوازن الجدول الرسمي حسابياً: 7,307 + 216 = 7,523 دونماً.

أما «فلسطين في الذاكرة» فيعرض البيانات وفق تصنيفه الخاص: 7,307 دونمات «فلسطيني»، و0 دونم «تسرّبت للصهاينة»، و216 دونماً «مشاع».

ويجب الحفاظ على عبارة «تسرّبت للصهاينة» عند نقل تصنيف ذلك المصدر، وعدم استبدالها تلقائياً بمصطلح «يهود».

استعمال الأراضي سنة 1944/1945

المجموع الكلي	7,307	216	7,523
نوع الاستعمال	عرب	عام	المجموع
الحبوب	6,663	0	6,663
البساتين والأراضي المروية	585	0	585
إجمالي المزروع/الصالح للزراعة	7,248	0	7,248
غير صالح للزراعة	34	216	250
مبني	25	0	25
إجمالي غير الصالح والمبني	59	216	275

يتوازن الجدول الرسمي بالكامل: 7,248 دونماً مزروعة أو صالحة للزراعة + 275 دونماً مبنية أو غير صالحة للزراعة = 7,523 دونماً.

وتعرض «فلسطين في الذاكرة» 250 دونماً من الأراضي البور في عمود فلسطيني واحد، لكن الجدول الرسمي يبين أن 34 دونماً فقط عربية و216 دونماً عامة.

لذلك فُصلت الأراضي العامة عن العربية في الجدول أعلاه.

الآثار

احتوت السوافير الغربية بقايا أثرية تدل على أن موقعها عرف استيطاناً أقدم من القرية الحديثة.

ومن أبرز الأمثلة مقام الشيخ الباز، الذي احتوى أعمدة حجرية أُعيد استخدامها في بنائه.

ولا يقدم المصدر الأساسي تأريخاً دقيقاً لجميع هذه البقايا، لذلك لا تُنسب جماعياً إلى العصر الروماني أو البيزنطي أو غيرهما من دون توثيق أثري متخصص.

عملية باراك

بدأت عملية «باراك» في 9 أيار/مايو 1948، وكان لواء غفعاتي التابع للهاغاناه القوة الرئيسية فيها، مع مشاركة لواء هنيغف/النقب التابع للبلماح.

استهدفت العملية توسيع منطقة السيطرة الصهيونية في السهل الساحلي والمناطق الواقعة جنوب وغرب الرملة، وطرد السكان الفلسطينيين من عدد من القرى.

وتدرج PalQuest السوافير الغربية صراحة ضمن القرى المتضررة من عملية باراك.

ومع انسحاب القوات البريطانية في 15 أيار بدأت مرحلة ثانية من العملية في جنوب فلسطين، واستمرت عمليات الاحتلال والتهجير خلال النصف الثاني من أيار.

بداية تهجير السوافير الغربية

لا يقدم وليد الخالدي تاريخاً واحداً قاطعاً لخروج سكان السوافير الغربية.

فاستناداً إلى مصدرين ينقلهما، ربما طُرد السكان أو غادروا عقب الهجوم الواسع على قرية **بيت دراس في 10 أيار/مايو 1948**.

وهناك احتمال آخر بأنهم خرجوا أثناء الهجوم العسكري المباشر على السوافير الشرقية في **18 أيار/مايو**، وربما تعرضت السوافير الغربية نفسها للهجوم في اليوم ذاته.

لهذا السبب، يمثل النطاق **10–18 أيار 1948** الإطار الأكثر دقة لمرحلة النزوح/التهجير الأولى وفق رواية وليد الخالدي.

هل 18 أيار هو تاريخ الاحتلال النهائي؟

تضع «فلسطين في الذاكرة» وموسوعة القرى الفلسطينية يوم **18 أيار/مايو 1948** كتاريخ احتلال السوافير الغربية، وتربطان ذلك بالمرحلة الثانية من عملية باراك ولواء غفعاتي.

لكن رواية وليد الخالدي أكثر تعقيداً؛ فهي تقول إن القرية قد تكون هوجمت في ذلك اليوم، من دون أن تجعل 18 أيار تاريخاً مؤكداً غير متنازع عليه للسيطرة العسكرية النهائية.

الرواية المصرية والسيطرة المتأخرة

يورد وليد الخالدي رواية مختلفة تماماً عن الضابط المصري آنذاك جمال عبد الناصر.

بحسب هذه الرواية، كانت قرى السوافير الثلاث **خالية من الجنود الإسرائيليين يوم إعلان الهدنة الأولى في 11 حزيران/يونيو 1948**.

ويفهم من الرواية أن القوات الإسرائيلية احتلتها خلال الهدنة، أي بعد مرحلة النزوح الأولى بأسابيع.

ويقول الخالدي إن هذه الرواية تضع سقوط السوافير الغربية بعد التاريخ المتداول في أيار بنحو شهر، أي قرابة أسبوعين بعد بدء الهدنة الأولى.

وعندما استؤنفت العمليات العسكرية في **9 تموز/يوليو 1948**، تلقت كتيبة جمال عبد الناصر أوامر بمحاولة استعادة السوافير الغربية.

وكان نجاح الهجوم مرتبطاً باستعادة بيت دراس، التي دخلتها قوة سودانية لفترة وجيزة قبل انسحابها.

تاريخ الاحتلال والوحدة العسكرية

بسبب اختلاف المصادر، لا يعتمد هذا المقال تاريخ 18 أيار بوصفه تاريخاً نهائياً مقطوعاً به.

الأدق هو القول إن **نزوح وتهجير سكان السوافير الغربية بدأ على الأرجح بين 10 و18 أيار خلال عملية باراك، بينما يختلف التوثيق في تاريخ تثبيت السيطرة العسكرية النهائية؛ إذ تضعها رواية مصرية خلال الهدنة الأولى في أواخر حزيران.**

أما التشكيل العسكري الأوضح ارتباطاً بالقرية في مرحلة عملية باراك فهو **لواء غفعاتي**.

ولا يحدد المصدر الأساسي الخاص بالسوافير الغربية كتيبة بعينها، لذلك لا تُنسب عملية الاحتلال إلى كتيبة محددة من غفعاتي من دون توثيق صريح.

تسلسل الاحتلال

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
بدء عملية باراك	9 أيار/مايو 1948	بدأت عملية واسعة قادها أساساً لواء غفعاتي بهدف توسيع السيطرة في السهل الساحلي وتهجير سكان القرى الفلسطينية.

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
هجوم بيت دراس	10 أيار/مايو 1948	أحد الاحتمالين اللذين يوردهما الخالدي لبداية طرد أو نزوح سكان السوافير الغربية.
بداية المرحلة الثانية من باراك	15 أيار/مايو 1948	توسعت عمليات الهاغاناه في جنوب فلسطين مع انتهاء الانتداب البريطاني.
الهجوم على السوافير الشرقية	18 أيار/مايو 1948	الاحتمال الثاني لتهجير سكان الغربية؛ وربما تعرضت السوافير الغربية نفسها لهجوم في ذلك اليوم.
التاريخ المفهرس في عدد من المصادر	18 أيار/مايو 1948	تعتمده «فلسطين في الذاكرة» ومصادر فلسطينية لاحقة كتاريخ احتلال، لكنه ليس التاريخ الوحيد في الروايات المتاحة.
بدء الهدنة الأولى	11 حزيران/يونيو 1948	بحسب رواية جمال عبد الناصر، لم يكن في قرى السوافير جنود إسرائيليون يوم إعلان الهدنة.
السيطرة العسكرية وفق الرواية المصرية	نحو أواخر حزيران/يونيو 1948	تقول الرواية المصرية إن القرية احتلت خلال الهدنة الأولى، بعد مرحلة النزوح في أيار.
محاولة مصرية لاستعادة المنطقة	من 9 تموز/يوليو 1948	تلقت كتيبة جمال عبد الناصر أوامر باستعادة السوافير الغربية، لكن الخطة لم تنجح بعد فشل الاحتفاظ ببيت دراس.
التدمير	لاحقاً؛ التاريخ الدقيق غير موثق	أزيلت منازل القرية كلها، وبقيت الطريق والمقبرة وبعض الأشجار وآثار منشأة للمياه.

المستعمرات الإسرائيلية على أراضي القرية

أُنشئت **مركاز شابيرا** سنة 1948 على أراضي السوافير الغربية.

كما أُنشئت **مسّوؤوت يتسحاق** سنة 1949 على أراضي القرية.

أما **عين تسوريم** فقد أُنشئت سنة 1949 بالقرب من الموقع، لكنها تقع على أراضي السوافير الشرقية، ولذلك لا تُدرج كمستعمرة على أراضي السوافير الغربية.

كما يذكر وليد الخالدي أن مستعمرة دغانيم غيّرت فيما يبدو موقعها الأصلي من أراضي السوافير الغربية لتلتحق بعين تسوريم، وهو ما يجعل تحديد بعض المواقع الاستيطانية التاريخية أكثر تعقيداً.

قرية السوافير الغربية اليوم

بحسب الوصف الميداني المنشور في مشروع وليد الخالدي «كي لا ننسى / All That Remains»، اندثرت منازل السوافير الغربية كلها.

ونما في الموقع الصبار وأشجار التين والجميز.

وظلت طريق قروية قديمة ظاهرة بوضوح، بينما غطت الحشائش والأعشاب البرية المقبرة.

كما بقي ما يبدو أنه آثار بناء كان يحتوي مضخة للمياه في بستان الباز.

وكان المزارعون الإسرائيليون يستغلون الأراضي المجاورة للموقع وقت إجراء المسح.

ولا يمثل هذا الوصف تحققاً ميدانياً شاملاً لحالة السوافير الغربية سنة 2026؛ فالعمل الميداني لمشروع «كي لا ننسى» أُجري بين سنتي 1987 و1990، ولذلك يوثق حالة الموقع خلال تلك الفترة.

المصادر

- PalQuest – الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية: السوافير الغربية
- PalQuest – عملية باراك
- فلسطين في الذاكرة – السوافير الغربية، قضاء غزة
- فلسطين في الذاكرة – نص وليد الخالدي عن السوافير الغربية
- موسوعة القرى الفلسطينية – السوافير الغربية؛ توثيق فلسطيني مساند
- فلسطيننا – السوافير الغربية
- حكومة فلسطين – تعداد فلسطين 1922
- حكومة فلسطين / الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني – تعداد فلسطين 1931: السوافير الغربية
- Village Statistics 1945 – السكان وملكية الأرض، السوافير الغربية
- Village Statistics 1945 – الأراضي الزراعية في السوافير الغربية
- Village Statistics 1945 – المناطق المبنية وغير الصالحة للزراعة
- PalQuest – منهجية مشروع All That Remains والعمل الميداني